تاريخ الاستلام: 2026/01/12 تاريخ القبول: 2026/06/01 تاريخ النشر: 2026/06/11

كاميليا بوالروين [1*]
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
Email: K.bourouaine@univ-skikda.dz
فريدة بولكعيبات [2]
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
Email: Prof.faridabou@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى استجلاء أهمية توظيف التراث في القصيدة الشعرية لكونه محورا أساسيا يوحي بمدى التجربة الفنية العميقة التي أضفت جمالية أدبية للقصيدة العربية خاصة الجزائرية منها كما زادتها عمقا يتطلب التحليل والغوص بين سطورها لفهم المراد منها

اعتمد المقال على الكشف عن زوايا التراث التي وظفها الشاعر أحسن خراط في دواوينه الشعرية مبينا بذلك اهتمامه الواسع بشتى أنواع التراث وهذا إن دل يدل على أصالة الشاعر وروحه الوطنية

الكلمات المفتاحية : تراث – قصيدة شعرية – قصيدة جزائرية – أحسن خراط – دواوين.

***Abstract*:**

This article aims to highlight the importance of employing heritage in poetry, as it is a fundamental axis that suggests the extent of the deep artistic experience that added literary beauty to the Arabic poem, especially the Algerian one, and also increased its depth, requiring analysis and diving between its lines to understand its intended meaning.

The article relied on revealing the heritage angles that the poet Ahsan Kharrat employed in his poetry collections, thus demonstrating his broad interest in various types of heritage. This, if anything, indicates the poet's authenticity and national spirit

***Keywords**: Heritage- poetic poem- Algerian poem- Ahsen Kharrat - collections*

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 20/ العدد 01 –السنة 2026 ص ص 566–587 EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8151

[*] المؤلف المرسل

المقدمة

إن الشعر الجزائري الحديث و المعاصر مر بتاريخ حافل ومسار طويل المدى ليصل إلى ما هو عليه اليوم كجزء من القومية العربية ذلك أنه ارتبط بذاكرة المجتمع الجزائري وحمل على عاتقه صناعة عالم حقيقي متميز يجد فيه القارئ ضالته في الواقع فيتشبع من خلاله بالقيم والمبادئ والمعتقدات والثقافة الشعبية المؤلفة جماعيا والمألوفة اجتماعيا ،فنجح في الوصول إلى آفاق إبداعية مبتكرة مرورا بمسار تدريجي من اللاوعي إلى الوعي بالتراث المحلي والأدب الشعبي ،الأمر الذي صان الموروث التاريخي والديني والشعبي للأمة الجزائرية بما يثبت وجودها على مر الأزمنة بأمجادها وتضحياتها وإنجازاتها، فالتراث هو ذاكرة كل أمة وذكرياتها و خزانها الفكري والثقافي الذي يساير الأجيال كنوع من الحفاظ على الهوية والوجود وكل ما هو مقدس يشمل طابع حياة بأكمله، ولأن الشعر الجزائري يقترب كثيرا من التجربة الشعورية المكبوتة لدى المجتمع والتي غالبا ما تكون مشحونة بالسلبيات و الأزمات تستدعي بالضرورة وجهة نظر مفارقة للوضع السائد من الجمود إلى الإبداع والإنتاج ما يحيلنا إلى الدور الفعال الذي يلعبه الشاعر في القدرة على إنشاء صورة تفاعلية تترجم كل ما هو سلبي غير مرغوب إلى كلمات راقية تبعث الأمل التفاؤل.

إن مصداقية الإنجازات الشعرية تتطلب التحليل في ثناياها من خلال العودة إلى التراث كونه جزأ
أساسي لا يتجزأ من كيان الأمة ومقوم هام من مقومات الشخصية العربية ويعتبر رمز سيادة الأمة وعنوان يفرض أصالتها.
إن تجليات التراث في النص الشعري الجزائري الحديث لاقت اهتماما واسعا من قبل الدارسين والمحللين هذا نظرا للأهمية الواسعة في استنباط وظيفة التراث الذي يربط ماضي الأمة بحاضرها و إضفاء روح القداسة على ماضي الجزائر الجميل الذي

نمجده ونفتخر به، ويعتبر أحسن خراط احد الشعراء الجزائريين الذي جعل من أغلب مدوناته الشعرية فضا ء واسعا لتوظيف التراث كون هدا الأخير مرآة عاكسة لحقيقية تفكير الشعوب وثقافتهم ومكون من مكونات ذاكراتهم الأصيلة،هذا ناهيك إلى أن الجزائر دولة مجيدة بتراثها قوية بأصالتها تجعل كيان الشاعر يحلق عاليا بمجرد التفكير في ماضيها العريق.

وقد تمت دراسة هذا البحث وفق المنهج الوصفي الذي يتطابق مع طبيعة البحث وموضوعه بالاعتماد على نبذة من المصادر والمراجع من أجل الوصول إلى أهداف يندرج ضمنها هذا البحث من بينها فهم الهوية الذاتية والمجتمعية، وأيضا ربط الماضي بالحاضر وتعزيز الوعي الثقافي، هذا ناهيك عن صون الموروث المادي واللامادي من الاندثار كون التراث لبنة أساسية في فهم طبيعة تشكل المجتمع ونمطية تشكل بنيته

فيا ترى : كيف جعل أحسن خراط التراث ركيزة يعتمد عليه في شعره ؟

أو بصيغة أخرى:

ما هي ابرز تجليات التراث في دواوين أحسن خرا ط ؟ وما هدفه من ذلك ؟

1. مفهوم التراث:

1.1. المفهوم اللغوي:

يشتق التراث في اللغة العربية من لفظة " ورث "وهي صفة من صفات الله عز وجل وهو الواحد الأحد الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم. (منظور، 1997م، ص422) ويقال ورثت فلانا مالا بمعنى ارثه ورثا ونقول ورثت في ماله أي أدخل فيه حتى ولو لم أكن من أهل الوراثة (منظور، 1997م، ص422)

2.1 المفهوم الاصطلاحي:

يتفق معظم الباحثين على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي مختلفين حول تحديد الفترة الزمنية التي ينتمي إليها أفي الماضي البعيد أو داخل الحضارة السائدة . ينظر " محمد عابد الجابري "على أن التراث هو الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية العقيدة الشريعة اللغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف (م.الجابري، 1991م، ص45) وقدم " جبور عبد النور مفهوما أشمل وأوسع من ذلك فقال: " هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخيرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث (ع.جبور، 1986م، ص63)

2. أهمية التراث في الشعر العربي:

إن للتراث أهمية بالغة لدى الشاعر ، فهو ثروة لا تنتهي وكنز لا يفنى فلا يستطيع الشاعر الاستغناء عنه ولا يمكن أن يكتب دون الرجوع إليه، إنه نواة أساسية يولد فيه فنه وينشأ حتى يصل إلى ذروته. فالشاعر لما ينظم قصيدته ، بالضرورة ستكون ذهنه معارف مسبقة استقاها من قراءته الكثيفة لنتاج سابقيه، والشاعر النحل هو الذي استطاع التمسك بالتراث وتثبيته حفاظا عليه من الاندثار والضياع أمام تحديات العصر، فالشعر لا ينشأ من عدم، إنما هو مهنة وصناعة يتقنها الشاعر عن طريق الدربة والممارسة عن الأقدمين، ولكي ندرك مدى حاجة الشاعر إلى التراث والتلمذة له والإفادة منه لابد من تناول هذين المجالين، ونعني بذلك حاجة الشاعر لثقافة خاصة وأخرى عامة لذا ذهب الشاعر العربي المعاصر إلى خلق علاقات مثاقفة واعية للتراث، وطالب بضرورة الانتماء إلى الشعرية العربية وقراءة التراث قراءة حداثية من خلال العمل على تفعيل هذا التراث، بوصفه معطى

حضاريا وشكلا فنيا في بناء العملية الشعرية فالشاعر عندما يبدع ، يكون ذلك بسبب حمولة فكرية ومخزون معرفي ضخم تستسيغه ذاكرته القوية من قراءاته الكثيفة للشعراء السابقين له، إذ يقول الأصمعي : « لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، وسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له على قوله ، والنحو ليصلح له به لسانه وليقيم به أعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم» (الأصمعي، 2005م،ص46.)

والشعراء المحدثون يرون من الضرورة موسوعية الأديب، إذ عليه أن يقرأ منجزات سابقيه وإبداعاتهم المختلفة كي يتحصل على وعاء معرفي ثري يساعده على إنماء أفكاره ومشاعره وأحاسيسه وهذا ما تنبئه العقاد "حينما يذكر ثقافة السابقين بأنها ثمرة تعين لمعرفة الحياة التي توسع الفكر ، فحسبه أن الشاعر ليس بمقدوره أن يقاسم الشعور مع بني عصره وإنما عليه قبل كل شيء أن يتعرف على عصور سابقة، فالشعراء الذين ينتمون إلى نفس العصر من الصعب أن يتفقوا والثقافة العامة لا تنبثق من فراغ، ولا تأتي من عدم إنما لها مرجعيات من خلالها يستطيع الشاعر أن يكون ثقافته وهذه المرجعيات هي ثلاثة أولها:

ظروف البيئة الاجتماعية التي تتضمن الظروف الاجتماعية والعادات الاجتماعية والفضائل والسلوكيات والخصال التي تداولت الأجيال.

وثانيها : ظروف البيئة الطبيعية، لأن لها تأثيرا جليا على الصفات الجسمانية للإنسان، وكذا صفاته الخلقية التي تنطبق على ملامحه وصورته، فتثير وجدانه من خلال الطبيعة بجمالها وبهائها وألوانها وأشكالها.

وثالثها: ظروف اللغة وطبيعتها لأن اللغة تمثل جزءا مهما للشاعر فهي مخزون يتوارثه الأجيال بأصولها ومكوناتها، وصورة حية إذ توحد بين الشعراء بفضل عامل

الاحتكاك، وتركيب الأدباء لها يساعد الناشئين في الإحساس بروح لغتهم الذي يظهر في إبداعاتهم (م،ربيعي، 1989م،ص191،192.)

ولعل موقف الشاعر المعاصر من التراث قد مدد القيم الجمالية للتجربة الشعرية حيث أصبح التراث الإنساني لدى الشاعر المعاصر جانبا من تكوينه الشعري، ذلك أن تجربة الشاعر المعاصر هي محاولة جاهدة لاستيعاب الوجدان الإنساني عامة من خلال إطار حضارة العصر، وتحديد موقف الشاعر منه كإنسان معاصر، فاستخدام الشاعر المعاصر للتراث يضفي على عمله الشعري، عراقة وأصالة ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية، لأن الحداثة الشعرية الفاعلة التي ترتبط بالنظرة إلى العصر، ومستجداته من جهة، وإلى التراث وكوامنه التعبيرية القادرة على الاستمرار من جهة أخرى (م،دياب، 2019م)

3. أنواع التراث المتمظهرة في دواوين أحسن خراط:

1.3 التراث الشعبي:

هناك عدة مفاهيم للتراث الشعبي تتفق في مضمون واحد فنجد"أحمد حلمي يقول : "إن التراث الشعبي يتسع ليشمل كل شيء العادات و التقاليد والأزياء وطقوس الزواج والميلاد والسبوع والوفاة والختان والزرع والحصاد والري ونحوها بل يتسع ليشمل سلوكيات الأفراد في حياتهم اليومية وعلاقتهم بالآخرين وانتقال الأحوال من جيل لأخر بل لقد اتسع ليشمل سلوكيات الأفراد مع أنفسهم فهو كل ما يتعلق بالحياة من ظواهر وكل ما يتمسك به الجيل وكل مالا يتمسك به (أ،حلمي، 2002م،ص13.) فهو يشمل كل الموروث على مدى الأجيال من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة.

1.1.3 حضور التراث الشعبي في دواوين أحسن خراط :

لقد ظل تراثنا الشعبي إلى وقت غير بعيد مهمل في زوايا مظلمة من مكنوناتنا الثقافية وعلى رأسها الأدبية.

نجد في ديوان أحسن خراط " شطح الدراويش" مصطلح الدراويش وبعض الطقوس الشعبية التي يمارسها هؤلاء الدراويش في المناسبات التي تعرف بالزردة أو الحضرة عند قدوم مجموع من الأشخاص فيقرر سكان منطقة معينة بإقامة الزردة على شرف هؤلاء .

فالدراويش المتحدث عنهم في ديوان شاعرنا الفذ يريد أن يبرز لنا من خلالهم تأصل التراث الشعبي في الأدب العربي وربط الصوفية بفلسفة الشاعر العميقة في اختيار للعنوان وإبراز دلالته ونجد في قوله: وأغرس في تربة الوعد

حرفي

حقولا من الضوء والأقحوان

أمد إلى ثمرات اليقين

يداي

وأكلأ ظل النبوة

أشرب من كف غيمه

وألبس وشي يناير

أفصل من فرح الروح

أرديتي (أ،خراط، شطح الدراويش، ص39) .

في هذا المقطع نلاحظ دلالة قوية عن هذا البعد التراثي الشعبي فيناير يمثل احد الطقوس والعادات التي عرف بها الامازيغيون و لربما أصبحت مصدر احتفال لدى معظم الجزائريين من خلال ذبح الأضاحي وتوزيع الأكل ومنهم من يقصد في جماعي ضريح معين ويضع الحنة متزينين بالثوب القبائلي والحلي وكلهم فرحة بهذا

اليوم السادي لديهم ليكون هدف أحسن خراط من توظيف هده العادة الأمازيغية في ديوانه هو إبراز مدى تعلقه بالتراث الجزائري وتقربه من الثقافة الشعبية الجزائرية.

من أبرز ما يجسد ذلك إقامة الزردة والاعتقاد بالأولياء حيث تعتبر من أخطر وأغرب الموروثات التي يحافظ عليها المجتمع فرغم كونها دخيلة على الدين والعقيدة إلا أنها صارت بنفس القداسة والسلطان وذلك راجع إلى الجهل والتخلف الفكري والثقافي الذي فتح المجال أمام الخرافات والأساطير لتطغى على المجتمع، فالزردة هنا مثلا هي حفل طقوسي جماعي محوره الدراويش الذين خلفوهم الأولياء المباركين حراس الدشرة فهم يتمتعون بسلطة غيبية منقطعة النظير يقتضي التسليم لهم بثقة عمياء من أجل قضاء الحوائج والمآرب، ففي أي مناسبة أو حدث بارز تقام الزردة ويجتمع الناس من كل حدب وصوب للحصول على البركة من الأضرحة والإطلاع على الغيب من خلال الدراويش والترويح عن النفس والاستمتاع.

ومما يمارس في الزردة الرقص الطقوسي، وهو نوع من التعبير عن الشعور لدى الفرد والجماعة بحركات غريبة مصاحبة لآلة الزرنة والبنادير، ولعق المناجل المبيضة على النار وهو العامل الأساسي في الحضرة بحيث من خلاله ينتقل الإنسان من الحقيقة إلى عالم الخيال والروحانيات وإلى ملكوت النشوة القدسية.

في البداية كانت الحفلة عادية رقص وألحان فلكلورية وصيحات من الدراويش حينا بعد آخر.. حيث يشارك الرقص مع الدراويش البعض فقط من الأشخاص المعنيين... لكن حينما يشرع في تحمية المناجل يبدأ الجو في التكهرب ووجوه الدراويش تكفهر .

ومن الطقوس والممارسات الشعبية المتعارف عليها بالإضافة إلى شطح الدراويش في الزردة والوليمة نجد أيضا:

- التبرك بالأضرحة قصد النفع ورفض البلاء والضرر، وقيامهم بالجزاء والعقاب، لأن أغلب السكان يعتقدون أن الدعوات الصالحات لدى أضرحة الأولياء تولد العواقم وتزوج العوانس، وأن من جاء إلى الأضرحة بنية سيئة لن ينجو من نقمة أوليائها .

فمن خلال ما جاء به أحسن خراط في هذه الأبيات الشعرية نجد أن يناير له مكانة واسعة في الوجدان العربي فهو ليس تقويم زمني فحسب بل هو انبعاث للهوية واستحضار لعمق الذاكرة التي تربط الإنسان بالأرض فالعلاقة هنا تكاملية ، حيث يتجلى التراث في أبهى صوره من خلال الطقوس التي تحتفي بالخصوبة والنماء .

كما نلاحظ مدى ترسيخ التراث الشعبي في ذهن الشاعر من خلال هده الأسطر الشعرية قائلا فيها:

وأطلع أسقف وقتي

أعلق وجهي بباب

الصباح أميمه

ووجهي وشاح الحقول

على ساحل الظل أسحل

وقتي (أ.خراط، شطح الدراويش،ص48)

فالوشاح ليس مجرد قطعة قماش بل هو جزأ من اللباس التقليدي الذي يثبث الهوية والانتماء وبما أن يناير هو في أصله عيد الطبيعة والأرض فإن وصف الحقول بالوشاح في هدا المقطع الشعري للدلالة على الخضرة والنماء فالوشاح في لونه وزينته يشبه لون الحقول المزينة بشتى انواع الأزهار والورود وكذلك يدل على الحماية والبركة فلوشاح هو تلك السترة التي تحمي المرأة وتزيدها زينة وبركة

فالوشاح هو خيط الوصل الذي يربط جسد الشاعر بتراب أرضه

ويقول أيضا في نفس الديوان :

على جسد الأفق
ينحتني الماء إرثا وأغنية
ترتدي دهشة الحجر
المتعبد تحت سفوحي
تناهبه الشيح والزعفران (أ.خراط، شطح الدراويش،ص71.)

لفظتي الشيح والزعفران لهما علاقة وطيدة بالتراث الشعبي وأن الشاعر متعلق بالثقافة الشعبية والعادات التقاليد إلى أبعد الحدود درجة أنه مازال محافظا على حشائش كان يستعملها أجدادنا في علاجهم وتداويهم، فالشيح برائحته النفاذة يمثل عطر الأصالة وصمود الإنسان والزعفران صبغة للفرح ولون للاحتفاء، فالهوية التراثية هي مزيج من الصمود والبهجة التي لا تمحى.

2.3 التراث التاريخي:

التراث التاريخي هو دراسة تهتم بالإنسان ومجتمعاته موضحا كل ما يتعلق بالاقتصاد العام والأنماط الفكرية والعلمية.

وبهذا نحدد مقصودنا بالتاريخ وهو تلك الكتلة من الأحداث التي تنتمي إلى فترة زمنية فتفصل حضاريا عن الزمن الحاضر (إ،عباس، 2001م،ص120.).

إن الأدب الجزائري الحديث هو اشد ما توغل في توظيف التراث لما شهدته البلاد من فسخ ومسخ ومحو كل معالم هويتها فيما يقارب القرن ونصف القرن وهو زمن ثقيل في التاريخ وفي نفسيات الشعوب حيث حاول الأدب الجزائري نوعا ما أن يقرب الماضي من الواقع الجديد حيث يجعل الشخصية التاريخية حية تغادر الزمن لتعيش في الحاضر من جديد (م،وتار، 2002م،ص70)فعلى سبيل المثال نجد ديوان نبض الفجيعة لأحسن خراط يصور لنا بعض الشخصيات التراثية التي كانت لها دورا فعالا في بعث الوعي القومي والوطني.

ففي ثنايا الديوان في الصفحة تحمل للعنوان حبة الضوء نجد الشاعر يعرض إهداء إلى الشخصية التراثية الفذة "رمضان بودلا عه المدعو إدريس" هذا الأخير الذي كان يمثل حزب جاب الله الراعي الرسمي للأمة العربية والحفاظ على مقوماتها ودينها من استغلال الكيان الصهيوني الاستعماري وتلفيقاتها حول نشر الدعايات من أجل إبطال مصداقية الدين الإسلامي.

رمضان بودلاعة هذه الشخصية القوية التي تمحورت بين كلمات أحسن خراط تمثل المناهض الأول لدول الاستكبار العالمي وجعل القضية الفلسطينية هي المحور الأساس مجاهدا ومديرا سابقا في الرئاسة ولعل استحضار هده الشخصية العظيمة في نصنا هذا لدليل قاطع على العلاقة الوطيدة التي تربط الشاعر بصديقه الذي مثل الجزائر أحسن تمثيلا وحافظ على مقوماته النبيلة إلى حد التضحية بالنفيس موجها له الشاعر كلمات نبيلة تحمل أسمى التباهي والافتخار قائلا :

جئتك احمل عمري على كتفي
وملأ يدي حطام النهار
أجيئك عبر ظلال الليالي
يموت ببالي سنا الحر ف
والحلم المشتهي
وقلبي جراح وعمري انكسار (أ،خراط، نبض الفجيعة،ص27.)

ثم يقول مرة أخرى:

أخبئ وجهك بالقلب
والذاكره
وأبحث عن حبة الضوء
في مقلتيك
وغصن النهار

تظل حقولي وأرضي
مباحه
لكل الطيور لكل الورود (أ،خراط، نبض الفجيعة،ص34)

ففي هذا الإهداء العظيم نلاحظ كيف أن الشاعر حاول أن يجسد ويرسم لنا مكانة صديقه ومدى تأثره به وبما قدمه لبلادنا الجليلة واصفا إياه بأنه طيرا من طيور الجنة ووردة تعبق منها روائح التضحية والجهاد والنضال والرجولة لتتوسد بذلك نعيم الجنة.

لينتقل أحسن خراط إلى شخصية تراثية أخر ى وإلى صديقه المجاهد " محمد بوالريش "هذا الرجل الفذ رحمه الله من مواليد 12 مارس 1937 في الحروش ولاية سكيكدة ترعرع في عائلة تغمرها القيم الإسلامية والهوية الجزائرية وتشبع هو بدوره بالقيم الوطنية ليكون مجاهدا بطلا متحديا كل الصعاب من اجل رفع راية الجزائر يهدي الشاعر له أسمى عبارات التقدير والاحترام والإجلال واصفا مدى حزنه عن فراقه قائلا:

هي الروح تجلس عطشى
وتشرب كأس الصقيع
وتلبس ثوب الجليد
تطل على شرفات الليالي
وتنبش كومة العمر
والأمنيات (أ،خراط، نبض الفجيعة،ص61.)

فكلمات تثلج الصدر حزنا وألما على فراقه يرتدي ثوب الجليد نظرا للفراغ الذي تركه له صديقه ويشرب من كأس الصقيع مرارة ولوعة الفراق.

ومن أماكن التراث التاريخي التي استحضرها الشاعر هاهنا ديوانه نبض الفجيعة في صفحة عنوانها

"بونة والفرسان" هي مدينة عنابة التي كانت تلقب في زمنها القديم ب بونه قائلا:

_وبونة _ تمد جسورا من

الماء

والموج والوحي

والكلمات الشهية

وعرس الند ى

في حدائقها البكر

أغنية

في فم الناي (أ،خراط، نبض الفجيعة،ص71)

يشيد الشاعر بمنطقة عنابة هذه المدينة الساحرة التي تملك معالما تاريخية عظيمة وتراثا تاريخيا قويا في سلسلة الاستعمار الفرنسي ضد الجزائر حيث كانت مدينة عنابة من الفترة 1832 إلى 1852 تحت الظلم والاستكانة تحملت شتى أنواع القمع والعذاب متخطية ذلك لتصبح بذلك عروس الشرق الجزائري.

3.3 التراث الديني:

الدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الخاصة للنفس من جراء حبها لله وعبادته إياه وطاعتها لأوامره حيث قال الله تعالى "ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون" سورة هود 121.

القرآن الكريم مصدر التراث الديني وينبوع الفكر الإسلامي وقد كان ومزال معينا ثريا للفصاحة والبلاغة والبيان وموردا عذبا يسترفده الشعراء والرواة في كل زمان ومكان ويستفيدون منه لإغناء إبداعاتهم وإضفاء الجمال الفني عليه " لم يكن القرآن

الكريم مقصور على زمن دون زمن أو مكان دون مكان, بل إنه دستور الله الخالد للبشرية جمعاء وهو صانع التراث ومصدره الأكبر" (إ،الياسين، 2006م،ص17.)

فالتراث الديني اعتمد على عدة مصادر منها المصادر القرآنية والتوراتية والإنجيلية بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف والفكر الديني.

قد وظف أحسن خراط في ديوانه العديد من الألفاظ الدالة على تعلقه بالتراث الديني نجد منها : نواقيس الكنائس قائلا :

تصوف في مضغتي الضوء
يمزج نبضه في نبض
حر في
يدق نواقيس الكنائس (أ،خراط، بصر التراب،ص9)

فهنا نلاحظ أن أحسن خراط يشير إلى أنه شاعر طغت عليه النزعة الصوفية التي لخصها في نواقيس الكنائس فالكنيسة هي مكان للعبادة عند المسيحيين من خلال القيام بطقوس مختلفة رفقة الكهنة فالشعب الجزائري وقت الاستعمار شهد تغيرا في مجراه الديني نتيجة تحويل المساجد ودور العبادة والعلم إلى كنائس ففرضت عليهم أن يميلوا حيث يكون ميول المستعمر مفروضا وهنا نجد أن نواقيس الكنائس هي تراث ديني لازال في الشوارع الجزائرية إلى حد يومنا.

فالشاعر أحسن خراط هنا عمل على إحياء الحضارة الإسلامية القديمة من خلال الروح الدينية التي تجلت في الألفاظ المذكورة من " وحي, نبوة , معبدي ,صلاة ,تلاوة , تسبيح.. " يصل تمسك الشاعر بالجانب الديني والقيم الإسلامية إلى حد أن وصف نفسه بالناسك قائلا :

تجلس نوريتي
في توهج رؤيا

على جبل الماء متكئا
ناسكا
في تباشير صيرورة
عابقا (أ،خراط، بصر التراب،ص62.)

فكانت لفظة " نبيا "حاضرة في ثنايا قصائد الديوان فمثلا قوله:

رآني نبيا على أفق الأزلية
أحمل ملء يميني بياضي
أشع على الملكوت نشيدا
يردده الماء في الخافقين (أ،خراط، بصر التراب،ص73.)

وقوله أيضا:

تماثل لي الماء
حتى أراني نبيا
صحائفه النخل والزنجبيل
يسبح في الأزلية (أ،خراط، بصر التراب،ص42.)

هذا يعكس في العموم نظرة المجتمع الجزائري إلى الدين الإسلامي ومكانة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الشاعر هنا يريد محاكاة مجتمعه والوقوف على أصوله الحقيقة وذلك من خلال إبراز صوفيته ونظرته الدينية.

ويقول أيضا أحسن خراط في قصيدة "أرق الضوء" مشيرا إلى سورة الكهف ولما لها من قيمة في التراث الديني:

أرفع في سورة الكهف
أدعيتي
أتماثل في نسك الضوء
أدلك شطح المواجد

أطفو على أسطح الكشف
أغزل من بيدر الفجر
منحى الخطى (أ،خراط، شطح الدراويش،ص 55.)

سورة الكهف في التراث الديني دلالتها عظيمة، فهي عصمة من الفتن، خاصة فتنة المسيح الدجال، وقرأ يوم الجمعة لنور وبركة، كما تحوي قصصا تربوية عن الصبر على البلاء، التوكل على الله، أهمية العلم والعمل الصالح، التحذير من الفتن الدنيوية والمالية، والتذكير ب سنن الله في الأمم، وتبين عاقبة الظلم والانحراف، وفق ما جاء في السنة والتفسير.

1.3.3. الدلالات الرئيسية في التراث الديني:

- الحماية من الفتن:

قد السورة وقاية من الفتن الكبرى كفتنة الدجال، وفتنة المال والجاه، وفتنة العلم الزائف، وفتنة الإغراءات الدنيوية بحسب ما ورد عن النبي ﷺ.

-نور وبركة يوم الجمعة:

قراءة سورة الكهف يوم الجمعة نور يضيء مابين الجمعتين، وهو من فضائلها العظيمة.

-قصص القرآن العبرية:

1-أصحاب الكهف: نموذج للصبر والتجرد والتوكل على الله في مواجهة الاضطهاد الديني، والتفويض لله في العاقبة.

2-صاحب الجنتين: تحذير من الغرور والبطر والنسيان لآخرة بعد النعم.

3-موسى والخضر: بيان أهمية العلم اللدني والصبر على ما لا يدرك حكمته، وأن العلم الظاهر ليس هو العلم الكامل.

4-ذي القرنين: نموذج للحكم العادل والقوة مع الرحمة، واستخدام السلطة في بناء الحضارة ونصر المظلوم، وذكر سنة الله في إقامة الحجة.

-التأكيد على سنن الله:

تذكر السورة أن لله سننا لا تتبدل في الأمم، فمن كذب الرسل ابتلي بالظلم حتى يأتي النصر الإلهي.

-التحذير من فتنة الدجال: تقدم السورة حلولا للنجاة من هذه الفتنة بتدبر قصصها وأحداثها وكيفية الثبات على الإيمان.

باختصار سورة الكهف كنز إيماني يربي المؤمن على الإيمان العميق، والصبر، والتحذير من فتن الدنيا والاستعداد للآخرة، والتمسك بالقيم الإلهية.

4. التراث الصوفي:

وهو التراث الذي يندرج فيه مجموعة ما تركه الصوفية من موروث روحي ومعرفي وفني عبر التاريخ يشمل مؤلفاتهم في السير والسلوك والمقامات والأحوال.

حيث نجد في قصيدة شذى الزهروين، الشاعر يجسد معاني التراث الصوفي قائلا:

توزع في الفرقدين ضياها
أشكل من مفردات اليقين
دروبي
وأبحث في دفتر الحال
اقـرأ نزع الجهات
وأغرف من زبد الهدي
ألبس وقت النبوة
أخرج من فلق الفجر
أركض نحو المزارات (أ،خراط، شواطئ الغفران،ص7) .

تبدو هذه البيات وكأنها رحلة في معراج الروح، حيث ينسلخ الشاعر من ضيق المادة إلى رحابة الكشف الإشراقي.

يبدأ النص ب "مطالع فجر الطفوح" وهي لحظة الانفجار القلبي التي تفيض فيها المعاني وتتجاوز الحدود، ويتجلى التراث الصوفي بأبهى صوره في مفهوم "نزع الجهات" ، حيث يفنى السالك عن الأبعاد الستة والقيود المكانية ليتحد بالمطلق، مستعينا ب "الفرقدين" كرموز للهداية والقطبية التي تنير ظلمات الحيرة، ومن خلال " الغرف من زبد الهدي" ينهل الشاعر من المدد الروحي والعلوم اللدنية ليصل إلى مقام التحقق ب " مفردات اليقين"، وتصل التجربة إلى ذروتها في سورة" لبس وقت النبوة" وهي استعارة لحالة الصفاء والاتصال باللحظة المقدسة التي يتغذى فيها "ربيع المباهيج" من صميم نبض الشاعر، معلنا انتصار الذات في معركتها مع " النوازع" وتحقيق حالة من السكينة والوداعة المطلقة.

ويقول أيضا في قصيدة بخور الدلالة من ديوان شواطئ الغفران:

على شرفات الأخيلة
يبذر حبات الضوء
الرجاء
ويجنح نحو الحقول
تدثر بالصمت يهصر
وقت التجلي
يهز بجذع السطوع
ويقطف نوار وعد
الرجاء (أ،خراط، شواطئ الغفران،ص 16) .

تتجلى عناصر التراث الصوفي في هذا المقطع بوصفها رحلة من "المجاهدة" إلى "المشاهدة"، حيث يوظف الشاعر لغة الإشارة والرمز لتوثيق لحظة الانكشاف الروحي، ويبرز في النص مقام "التدثر بالصمت"، وهو ركن أصيل في السلوك الصوفي، يعبر عن " هيبة الحضرة" وعجز العبارة عن ملاحقة الإشارة، فالحقيقة الصوفية ذاق ول توصف، كما يستدعي المقطع مفهوم " وقت التجلي" وهي اللحظة التي تشرق فيها الأنوار الإلهية على قلب السالك بعد انقطاعه عن شواغل المادة، مما يجعل الروح

" تهز بجذع السطوع" في استعارة تحاكي الاستمداد القلبي والارتقاء نحو" نور الأنوار".

وينتهي المسار الصوفي هنا ب" قطف نوار الوعد"، وهو ما يشير إلى " مقام التحقق" ونيل الثمرة الروحية التي غرسها الشاعر ب" حبات ضوء الرجاء" على شرفات خياله، لتتحول التجربة من بحث وتطلع إلى حضور ويقين وسطوع.

الخاتمة:

وبعد هذا الطواف العلمي في رحاب التراث وتجلياته في بعض دواوين أحسن خراط المختارة كدراسة لاستكشاف بعض الأبعاد التراثية المستخلصة يأتي الخلاص إلى الاستنتاجات المتمثلة في النقاط التالية :

-قدم الشعر الجزائري الحديث تجارب إبداعية تدل على أن شعراءه تمكنوا بعد مسيرتهم الطويلة من تشكيل وبلورة رؤى فنية اعتمدت أساسا على الإفادة من عوامل التجريب التشكيلي لتحقيق نوع من القراءة الجمالية في النص.

- ينحصر التراث في عدة أنواع منها (التراث الشعبي , التراث الديني, التراث التاريخي.)

- إن أحسن خراط قد حقق أعمالا شعرية مكنت من إبراز مكانة التراث وإعادة النظر فيه وقراءته.

- يحمل التراث أهمية كبرى لدوره الفعال في تغذية العقل الجمعي ومده بالقيم إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمراريته تعتبر مسؤولية الجميع.

- التراث هو حضارة كل أمة حيث يعبر عن الأجيال حاملا عادات وتقاليد تلك الأمة والحاضر الذي نعيشه مفعم بالماضي والتعامل معه يتطلب الرجوع إلى الحضارات الاجتماعية والتاريخية لواقع المجتمعات ولجوء الشاعر للتراث يعتبر رد فعل طبيعي لحماية الأمة وحضارتها من الانكسار.

- لقد حققت القصيدة العربية الحديثة ارتباطها الوثيق بالتراث حيث أعطى لهذا التراث أبعاد أخرى وأصبح لكل دال مدلولات متعددة ولغتها اقرب للتكثيف وموضوعاتها معالجة للقضايا الإنسانية.

-لقد تفاعل الشاعر أحسن خراط مع التراث لإدراكه القيمة الجمالية للتجربة الشعرية.

-التراث الشعبي هو بطاقة هوية لدى كل أمة من الأمم والجزائر على وجه الخصوص استخدمت هذه الميزة كوثيقة لإثبات الذات ولعبور حاجز الاستعمار المرعب .

-لقد أنجبت الجزائر ثلة من الأبناء البررة الذين استخدموا الفن كسلاح فتاك ولم يبخلوا في تلبية نداء الواجب وخدمة قضية الاستقلال للخروج بوطنهم الأم من الظلمات إلى النور، والتمجيد بتراثهم الأصيل.

-لقد سعى الشاعر الجزائري أحسن خراط من خلال دواوينه إلى توثيق وتصوير المجتمع الجزائري بكل صدق وموضوعية.

-إن توظيف التراث في الأعمال الأدبية يحمل عدة رسائل أهمها الحفاظ على ألوان الثقافة الشعبية القيمة من الزوال، وكذا التعرف على القيم التعليمية والتربوية المضمرة بين طياته، مرورا بالجانب البلاغي الممتع الذي يشجع على الإبحار في عالم التراث والاحتفاء به.

-التراث التاريخي هو مرآة الهوية وذاكرة الأمة، يربط الماضي بالحاضر والمستقبل عبر إرث مادي ويساهم في نقل القيم والمعارف من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة.

-التراث الديني هو جذر من جذور الأمة ومصدر هويتها الثقافية، يلعب دورا محوريا في بناء وتماسك المجتمع وتوجيه سلوك الأفراد عبر الأجيال.

الإحالات والمراجع:

القرآن الكريم
- ابن منظور، 1997، لسان العرب ،ط 1 ،دار صادر بيروت ،مادة ورث .
- أحسن خراط ، شطح دراويش ، تصميم وإخراج محمد سالم , محطة المطبعة شارع الملك فيصل، طبعة أولى.
- أحسن خراط،بصر التراب ، تصميم وإخراج احمد سالم ،ط 1،مطبعة شارع الملك الفيصل ،الجيزة.
- أحسن خراط : نبض الفجيعة، ط1, مطبعة قالمة .
-أحسن خراط، ديوان شواطئ الغفران، د ط،دار المعارف للطباعة.
-إبراهيم منصور محمد الياسين،2006م ،استحياء التراث في الشعر الأندلسي،ط 1 ،عالم الكتب الحديثة ،الأردن.
-إحسان عباس،2001م ،اتجاهات الشعر العربي المعاصر،ط3 ،دار الشعر العربي المعاصر،دار الشرق للنشر والتوزيع .
-الأصمعي، 2005م، فحولة الشعراء، تح: محمد عبد المنعم خفاجي،ط1، دار الجيل، بيروت.
-جبور عبد النور ،1986م ،المعجم الأدبي ،دار العلم للملايين ،بيروت.
-حلمي بدر ،2002م ، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ،دار الوفاء،الإسكندرية .
-عبد الحميد بن هدوقة، 1991م، الجازية والدراويش، ط2، دار الآداب، بيروت.
-محمد رياض وتار،2002م ،توظيف التراث في الرواية المعاصرة ،دراسة من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق.
-محمد عابد الجابري ،1991م ،التراث الحداثة دراسة ومناقشات، ط 1،مركز الدراسات الوحدة العربية ,بيروت .
-محمد علي عبد الخالق ربيعي،1989م، أثر التراث العربي القديم في الشعر الغربي المعاصر،(د ط) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
-ميادة محمد دياب، 19 يوليو 2019م، التراث الديني في شعر فايز خضور قداس الهلاك(نموذجا)، مجلة أوراق الثقافية ،بيروت-لبنان. www.awraqthaqafya.com.